مُناقشات

حول ((نقد الشعر)) !

بقلم سلمى الخضراء الجيوسي

في عدد الآداب الاخير قرأت كلمة قصيرة للسيد تيسير السبول حول نقد الشعر . استغربت منها لامرين : الاول ان السيد السبول يفترض ان لنقد الشعر في الآداب مفهوما متفقا عليه ، والثاني ان ما كتبته انا في هذا الباب في العدد الذي سبقه كان خارج هذا المفهوم . فاما من حيث النقطة الاولى فانني بلا ادنى شك لم الحظ قط ان هناك مفهوما مشروطا لنقد القصائد الشهري . وانا متأكدة ان لو كان هناك مفهوم مشروط لكان حدثت الامور التالية :

اولا ، لكان الدكتور ادريس ارفق هذه الشروط مع طلبه ، وثانيا لكنت على الاغلب اعتذرت عن نقد القصائد لاكثر من سبب واحد . واحد من هذه الاسباب هو ان الناقد الذي يتعاطى نقد الشعر في غير هذا الباب يكون له خطة في النقد لا يتنازل عنها في سبيل نقد قصائد عدد واحد من المجلة . ومنها ايضا ، وهو سبب خاص بنوع الشعر المنشور ، انني لا يمكنني ان اقبل الفرض ان كل ما ينشر في المجلات الادبية من منظوم هو شعر ويستحق النقد ، ففي عملية النقد يجب ان نذكر الجهود والوقت اللذين يصرفهما الناقد ، ويجب ايضا ، الاهم في الفترة التاريخية التي تجتازها ثقافتنا ، ان لا نعرض القارىء ، الخلي البال لان ينخدع بأن هذا شعر فنساعد على تنزيل المستوى الذوقي العام. ان للناقد مسؤولية كبيرة تجاه جماعات القراء .

واني بعد ، استغرب اكثر ان يخطىء السيد تيسير فهم ما رميت اليه يوم تحدثت عن نزار قباني وعدوى الاسلوب الشعري ـ لقد كان في العدد المنقود قصيدتان متأثرتان باسلوب نزار ـ وقد اخترت انا نقدهما من هذه الزاوية ، ولم تكن قصيدة بحر العلوم لتثير بي افكارا غير هذا مطلقا ـ اما قصيدة خليل خوري فاذكر اني تعرضت ايضا لفكرتها وروحها العام وقارنتها بالروح المختلفة التي تشيع في قصائد نزار ، رغم ان نزارا اعدى الشاعر الشاب في اسلوبه .

انني في منهاجي النقدي اميل كثيرا الى المقارنة واعتقد ان تذوقنا لاي قصيدة يقترن دائما بتذوقنا لمجموعة القصائد التي قرأناها في حياتنا وتذوقناها .

انما لا اريد ان يكون حديثي للسيد تيسير كله عبثا ، بل على العكس، انني اقدر حنانه وحماسه لقصيدتي احمد حجازي وخليل حاوي اللتين اهملتهما على رأيه ، وقد وجدت نفسي مدفوعة بعوامل كثيرة لتفسير موقفي له ـ منها لانني اقدر المتحمسين للشعر ومنها لانه يوم عتب علي لم يكن في كتابته لا متملقا ضعيفا ولا نزقا عنيفا وكلا هاتين الصفتين تملآن نفسي برودا .

فاما قصيدة ((العيون)) فقد كانت هي وقصيدة ثانية الدافع الاول لي لان اكتب مقالي المطول عن ((بحر الرجز في شعرنا المعاصر)) ، وقد رجعت اليها بالشواهد الكثيرة . اما من الناحية الفنية فاني في الحقيقة لم اشعر بحماس شديد لهذه القصيدة بالذات ، لا بالنسبة لغيرها من القصائد المنشورة في العدد ولكن بالنسبة لشعر حجازي نفسه ، وقد اكتفيت بالتعرض اليها من الناحية العروضية .

اما قصيدة خليل حاوي ((الجزار)) فهي أيضا اقل منزلة من باقي شعره . انها قصيدة من الادب الهجائي المباشر ولو تغلفت بالرموز . ان فيها شراسة وعنفا يخرجانها عن مصاف الشعر الراقي ، فشدة الحقد وقسوة الالفاظ وهول المعاني وفظاعة التشابيه تتلاحق بحيث تفقد التأثير العميق الذي يمكن ان يحدثه او تشبيه واحد او تشبيهان منها . واين هذه القصيدة من قصيدته الاخيرة الرائعة ((الناي وريح الرمل في الصومعة)) والتي أهملها النقد بالفعل على أهميتها الفنية الكبيرة .

والحقيقة اني في نقدي الماضي احببت ان انظر الى مجموعة الست عشرة قصيدة ككل واحاول ان استخلص لها ملامح عامة ومزايا ومثالب مشتركة . ولست اظن ان هذه الطريقة رديئة ما دامت تقرب المفاهيم وتعتمد المقارنة . انني لست اجهل ان هناك طرقا اخرى في النقد . اعطني مجموعة قصائد ممتازة وساكون شديدة الغبطة لان انقد بناءها الفني وان احاول تقييمها قصيدة قصيدة . ولكن عندما يكون امامي ست عشرة قصيدة ، جلها غير محمس ، فما حيلتي ؟ أأنقد عددا منها واهمل الباقي؟ أأنقد القصائد الضعيفة ايضا ، وهذا ضد مبدأي ؟ ام ماذا ؟ لماذا لا اركز على نقاطها الاجمالية البارزة اذا ، من اخطاء عامة في الوزن في بعض القصائد ، الى فوضى في التعابير ، وفوضى في المعاني ـ الى تفسير لمعنى الكورس وتاريخه ، وهذا لمصلحة من لم يعرف ذلك من القراء ، الى ربط اوجه التشابه بين قصيدة وقصيدة . وهذه كلها من واجبات النقد. واذا كنا في مضمار دعوة لتنشيط النقد عندنا وتنظيمه فان اول رأي اشعر انه من واجبي ان ابديه كتلميذة لهذا الباب من ابواب الادب ، هو انه لا يمكن ان يقوم النقد الفني عندنا على اساس نقد قصائد ذات قيمة فنية ضعيفة .

عمر فاخوري

في أجمل ما خلف من آثار

١ ـ الفصول الاربعة ، ٢ ـ اديب في السوق

٣ ـ الحقيقة اللبنانية

دار المكشوف ، بيروت

ان سهولة النشر في الصحف والمجلات قد ادى الى كثير من التشويش في الاراء حول الشعر والشعراء والى كثير من الضيق في ميزان النقد وفي ميزان الثقافة الفنية العامة في بلادنا ، وان القارىء العادي لخليق ان يثقف عن طريق النقد الدقيق الحازم ، ثقافة غايتها ان ترفع من مستواه النقدي وتغذي امكانياته على التذوق، لا ان تنزل هي الى مستواه فتدلل اهواءه او تخطب رضاه . ولست هنا اعني السيد تيسير ، فقد تحمس لشاعرين من طليعة شعرائنا وهذا يكفي للاطمئنان على اتجاهه السليم ولو ان القصيدتين ليستا في المستوى الذي اعتبره انا منسجما ومستوى الشاعرين . (وفي حال صاحب الناي وريح الرمل فما زلت عاتبة عليه نزوله عن مستواه)

ولو كان هذا الجيل من القراء قد تخرج على منهاج موضوع ومركز يتفهم آدابنا وشعرنا كله خلال جميع عصوره حتى اليوم ، وينصفها جميعها ويؤول تطوراتها جميعها ويتقبل هذه التطورات ، بل اذهب الى ابعد من ذلك فأقول ، لو اننا استطعنا حتى الان ان نجد توافقا ما بين القديم والحديث ولو استطعنا ان ننجح في ان نجعل لشعرنا المعاصر تاريخا يمتد باصوله الى القديم ويتدرج منه ، لكانت مهمة الناقد عندنا اسهل وارحم، ولكن الهوة بين قديمنا وحديثنا ما زالت متسعة ونحن مضطرون الى النزال حول كل نقطة ـ ومضطرون الى تبديد جهودنا في صراع لا يمكنه ان يقع ، بكل كامل اواره ، في بلاد تطورت آدابها تطورا طبيعيا منذ قرون بعيدة حتى اليوم . الا يرى القارىء كم هي مهمة النقد صعبة عندنا اليوم ؟ انما مما لا شك فيه انه قد اصبح من واجب النقد الملح ، والملح جدا ، في هذه المرحلة الخطرة من تطورنا كأمة تسعى عن حق لا لان يكون عندها شعر جيد فحسب . بل لان تساهم في مضمار الحضارة العالمية ، اصبح من واجب النقد الملح ان يقف بالمرصاد ، بكل حزم ، ليفرز الجيد من الرديء في شعرنا وليوجه الاذواق التي اشعر بانها فقدت الكثير من مستواها وجدها . اننا نتعثر كثيرا بهذه السطحية ، وفراغ الصبر ، والتعنت ، وتحكم العقائدية في الذوق الادبي ، وسفاهة الافتراض لما يجب ان يكون عليه الشعر من هيكل واداء وموضوع حتى بتنا اشعر ان فتح الصدور للادب الضعيف غدر بجماعات القراء من النشء الصاعد وخداع واستهتار بهم وبقيمنا الثقافية وبمستقبلنا الحضاري كله .

ولست بعد غافلة عما يقدمه كتّاب مثل شوقي ضيف من خدمة لادبنا وتاريخه انا اول من يجلها ويحني رأسه احتراما لها . ولكنا ، كما قال لي يوما الشاعر توفيق صايغ « نحتاج الى كل نوع من انواع النقد والى جهود جميع مثقفينا الحصيفين » .

« الناي وريح الرمل في الصومعة »

لن اجادل الشاعر يوسف غصوب على آرائه في الشعر الحديث فهو من المدرسة القديمة . غير انني لاحظت في آرائه امرين ـ الاول انه يقع في التناقض كقوله مثلا ان الشعر «المنثور» سهل وقريب المتناول وضرب المثل على ذلك (لن احلل المثل !) ثم قوله ان الشعر « المنثور » اذا كان جيدا فهو شاق ووعر الخ... والامر الثاني هو ان الاستاذ غصوب يخلط خلطا واضحا بين مفهومنا المعاصر للشعر الحر وللشعر المنثور معتقدا ان ما نشر في العدد الماضي كان من الشعر المنثور وانه كان بلا وزن . ولست ادري كيف فاته ، وهو الشاعر ، ان يتحسس الايقاع النغمي في القصائد الحرة .

غير انني اشعر بنفسي مسوقة لان اعدل ما قاله عن قصيدة خليل حاوي « الناي وريح الرمل في الصومعة » فهذه من شوامخ قصائدنا المعاصرة . خليل حاوي هنا صعب المراس معقد التجربة حتى ان معانيه خفيت على الكثيرين من قراء أدبه عندنا في دمشق . ولكن صعوبة القصيدة هنا تزيد في اغرائها .

في « الناي وريح الرمل والصومعة » مر خليل حاوي بالتجربة وعبر جسر التنهدات مرة اخرى ولكن الى عالم الانطلاق ، وكثيرون هم الذين يبتلعهم سجن الدوجي فلا يعبرون الجسر الا مرة واحدة ... الى الظلام . هذه هي تجربة خليل الوجودية التي تمناها في نهر الرماد ولم تقبل شفتيه بحرارتها الصادقة والتهابها النابع من خلجات القلب لا من اخيلة العقل ووحي الارادة ـ الا هنا ... في هذه الرائعة المزدهية بضفائر بدوينته السمراء .

تفسير القصيدة :

تظهر القصيدة وكأنها لا تتمتع بوحدة عضوية كاملة : ولكن الامر عكس ذلك . تنقسم القصيدة الى اربعة اقسام .

القسم الاول : خليل وصومعته في الجامعة ـ كرهها ، ثار عليها

القسم الثاني : الناي وذكريات الاهل والخطيبة ـ يريد ان ينشق عن حياته القديمة وارتباطاتها

القسم الثالث : ريح الرمل هي التي تجذب خليلا من صومعته ومن اهله وخطيبته ليعيش وجوده وليعانق الحياة العربية الجديدة باتساعها وتدفقها وغضبها وثورتها ومرارتها الحلوة .

القسم الرابع : الناسك في خليل ـ الطالب الذي ينازعه وجوده الحر ويشده الى مقعد الدراسة .

« ربي متى انشق عن اهلي وصومعتي
وعن تلك التي تحيا ، تموت على انتظار »

« كذب !
دمي ينحر ، يشتمني ، يئن
الى متى أزني وابصر جبهتي ، رئتي

صدر حديثا

النصر والموت

مأساة وطنية

بقلم
محفوظ ايوب

الثمن ١٢٥ ق.ل

على لقب وكرسي ، اضاجع مومياء » .

انه يرفض كل ارتباطات حياته العادية ـ الطالب الساعي للقب والكرسي الذي يقضي اوقاته في صومعة الدراسة بين الاقلام والمحابر والورق العتيق ـ المرتبط بواجباته نحو والديه اللذين ينتظرانه ليحمل همهما .

« ابني ، وقاه الله ، كنز أبيه
جسر البيت ، يحمل همنا، هما ثقيل » .

ونحو خطيبته التي لطول ما انتظرت عودته تكاد تيبس وتموت

« ولربما ماتت غدا تلك التي يبست على اسمي
وما احتفلت بلذات الدماء
طول النهار ، مدى النهار
تنحل في عصبي جنازتها »

انه يعاني صراعا عنيفا لاجلها ولكنه يريد ان ينشق عنها وعن اهله وعن صومعته ليعبر في جحيم التجربة ويخوض عتمة المعاناة ونارها فلعل عبارته ، « تنقى من الزغل الخبيث » ويصح الشعر في شفتيه .

فأما الناي فاني افهمه على أنه يرمز الى الذكريات والحزن والفراق واما ريح الرمل فافهمها على انها تعني ريح البعث العربي .

الناي لا يهمه ـ بل انه يعاني المرارة الشديدة من ارتباطاته ويتمنى بكل ما اوتي من شوق ان يستقل بوجوده ويعززه ـ ان يشعر بانسانيته التي تطورت وتفجرت ان ينحل من قيود الحياة التقليدية ومراسيمها ـ ان يصبح الشاعر الذي يريد .

صدر عن دار بيروت ودار صادر

مجموعة ديوان العرب

	ق.ل.
ديوان المتنبي	١٠٠٠
ديوان عبيد بن الابرص	٤٠٠
« ابن الفارض	٥٠٠
« امرىء القيس	٤٠٠
« عنترة	٥٠٠
« عبيد الله بن قيس الرقيات	٦٠٠
شرح المعلقات السبع	٣٠٠
سقط الزند لابي العلاء	٦٠٠

طبعات جديدة منقحة ومصححة ومشروحة

ومن هو هذا الشاعر الذي يريد ؟ ومن هي هذه الحبيبة الجديدة ـ هذه البدوية السمراء ؟ ان البدوية السمراء رمز لوطنه العربي الكبير ، وطنه « واحات العجين البكر ، واودية الهجير » ، وطنه الذي يعصى ولا يهتز له ، لغضبه ولموته فليس يروضه الا القوي الصبور وليس يرضيه الا الشاعر الكبير الذي يصبر على جحيم التجربة ويتعذب في سبيل النقاء من الزغل ويجد الطريق التي يريدها في حياته الغنية ، فيصوغ عبارته دون ان يسعفه الجن على البدوية السمراء .

وتزدوج الصورة في خياله ـ فالوطن الكبير يتجسد في هذه الفتاة السمراء التي « نهضت تلم غرور نهديها وتنفض عن جدائلها حكايات الرمال » .

وعندها يرى خليل الرياح « تسيل تنبع من يديها » ـ هذه رياح البعث النابع من الجنوب ، رخية معطرة ـ غير ان لها موسمها الغضوب ! كل الماضي انتسخ ـ وغرق خليل في هذا الاشراق العاطفي فلا يبقى امامنا الا الشاعر مع عبارته ووطنه ومرارات وطنه الثقال يشربها حلوة هنيئة .

« وحدي مع البدوية السمراء
كنت مع العبارة
شرب المرارات الثقال بلا مرارة » .

لا العلم ، ولا الاهل ولا الحب ، بل هذه الحياة الجديدة النابعة من مهب الرياح الجنوبية في وطنه الكبير ـ هذا الوطن الذي ما زالت اجزاء منه تستعصي على حياتنا الجديدة المتدفقة .

وقطيع بلدان كأقبية الارانب
او كما لعب الصغار
ذكرى الغريب ...
هذه الرقع الملفقة التي تركها الغرباء في بلادنا .
« ما بينها بلد يضيق مداه عن قدمي » .

ولعل هذا اروع وصف قرأته في شعرنا المعاصر عن تمزق البلدان العربية . واي حل يرتأيه الشاعر لهذا التمزق ـ لهذه الرقع الملفقة ذات التاريخ المخجل ؟ شلال فرسان يلمع في عيونهم شرر غضوب ينحدرون من الصحراء في موسم الريح الغضوب ليمسحوا هذه السياجات التي ارتفعت في العقول وليمحوا هذه الحدود التي نشأت في الدروب، ثم ماذا؟ لا شيء سوى الوحدة الكاملة :

« ماذا سوى التعمير في مرمى التراب البكر
بيت واحد يزهو بأعمدة الجباه » .

ثم الطاووس ! الطاووس المغرور يجر في مراوح ريشه وهو في ظل السياج ، في ظل التفرقة ، اما ثدياه ، ولعل الشاعر عنى بهما الطائفية والاقليمية او الشعوبية ، فانهما لم ينبتا لخير ابدا . ويدعو الشاعر اللبناني على طاووسه الذي لم يستحق لديه شرف الصلب .

« وكلت ريح الرمل تعجنه بوحلة شارع او مزبلة
هو والسياج »

هكذا تدور الايام بالشاعر ـ والصراع يأكل رأسه ـ والناسك فيه يلح عليه ان يتابع دراسته ويتهمه بالجنون .

« هل جَننت فرحت تحلم في النهار
هل كنت تتبع ذلك الجني ؟ »

وهو يجيبه : بل كنت
« وحدي مع البدوية السمراء
كنت مع العبارة
في الرمل كنت اخوض عتمته وناره » .

وطول النهار ومدى النهار تتوارد امام عينيه صور امه وابيه وخطيبته والناسك المخذول في رأسه ـ حينما يدعوه الشوق لمعانقة الريح الجنوبية المعطرة ـ لمعاناة التجربة ولخوض الطريق الوعر الى ذروة الفن الوجودي الاصيل الذي يتحسس خلاله الشاعر قيمة حياته الانسانية ومغزى وجوده ومعناه ، على صعيد انساني قومي شاسع .

اتراني بحاجة لان انبه القارىء لهذه التشابيه والعبارات الرائعة التي امتلات بها هذه القصيدة الممتازة ولهذه الصور الحسية الحية ؟!

تلك التي يبست على اسمي
ماتت مع الناي الذي تهواه
يسحب حزنه عبر المساء . »

وصورة البدوية السمراء التي
نهضت تلم غرور نهديها
تحدو ، تدور كما اشير باصبعي
وتزوغ زوبعة طروب
وارى الرياح تسيل ، تنبع من يديها ..

والصورة التي يرسمها لتمزق بلادنا العربية
وقطيع بلدان كأقبية الارانب او كما يلهو الصغار
ما بينها بلد يضيق مداه عن قدمي ..

او للوطن الكبير الذي يريده أن :
يزهو بغابات من المدن الصبايا
لين ارصفة وجاه ! »

او للطاووس المغرور الذي
يجر في مراوح ريشه .

وهذه العبارة الرائعة « ايصح عبر البحر تفسيخ المياه ؟ »
كيف يفرق البيت الواحد والوطن الواحد .
او استعماله للتعبير الشعبي
ابني ـ وقاه الله ، كنز ابيه ، جسر البيت

انني اشعر بعد ان حاولت تفسير هذه القصيدة والالماح الى جمال بعض صورها انني لم اعمل بعد شيئا ـ غير انني سأضطر ان اتوقف فقد ملأت باب المناقشات مكتفية باني لا بد قد وضحت للقارىء الذي صعب عليه فهمها للمرة الاولى شيئا من ارتباطاتها والماحاتها وتجربتها التي تنبثق عن نفس الشاعر لتشمل عالمه كله . ان ابهامها الذي يجبهنا لاول وهلة يجب ان لا يعتبر منقصة لها . ولعل الاستعانة هنا بما قاله ريتشاردز تفسر ما اعني ، قال : « ان الكثير من افضل الشعر مبهم في تأثيره الاول ، حتى ان ادق القراء واشدهم تجاوبا يضطرون ان يقرأوا القصيدة مرة اخرى ، وان يجهدوا انفسهم قبل ان تتجسم القصيدة في عقولهم بصفاء ووضوح . ان القصيدة المبتكرة تجبر العقل على التوسع (ترجمتها الحرفية : على النمو) ، وهذا يتطلب وقتا » . وفي الحقيقة ان هذه القصيدة تستحق الجهد الذي نبذله لاجلها . قد يكون هناك من يقول انها تساوق التيار الفكري الآني في بلادنا ـ وان هذا قد يقلل من قيمتها كشعر خالد عندما يضعف الحماس العام لهذا التيار الفكري ولكنها (وهنا الفرق الهام بين تجربتها الطريفةالعميقة الهازة وبين تجربة « الجزار » العادية التي تكاد تكون تقليدية في رد فعلها) قد تجنبت الكليشهات والالحاح على العواطف القومية التقليدية المألوفة وجسدت التجربة الذاتية العميقة التي تشمل الشاعر وكل عالمه واعتمدت على عنصر المعاناة والعذاب والحب والشوق والكراهية والضجر المنبثقة عن اعمق اعماق النفس الانسانية لاعلى عناصر الحماس الاني والاعجاب والاندفاع الجماهيري . ان انبثاقها عن ذات الشاعر وتوحيدها بين المشاعر القومية من الم وغضب وفخر وأمل وبين المشاعر الشخصية يعطيانها قيمتها الفنية الانسانية النادرة . انها قصيدة لم تكتب كي تثير افكارنا ، بل كي تتسلم ازمة اتجاهاتنا الشعورية برموزها العاطفية (البدوية السمراء ، الناي ، ريح الرمل ، الطاووس ، الناسك) الجديدة الطازجة ودفقات مشاعرها الغريبة والمألوفة في آن واحد .

انها قصيدة يجب ان تدرسها شبيبتنا وان تلقى عناية كبرى في الاوساط الادبية .

سلمى الخضراء الجيوسي

المجموعة الجنسية

تعالج اهم القضايا الجنسية على ضوء العلم الحديث

صدر منها :		ق.ل.
١ الحب بدون خوف	ترجمة : لويس لويس	١٠٠
٢ الحب والحياة الزوجية	« « «	١٠٠
٣ الحب الكامل	« « «	١٠٠
٤ العلم في خدمة الحب	« « «	١٠٠
٥ جنة الحب	« « «	١٠٠
٦ الطب في خدمة الحب	« « «	١٠٠
٧ ربيع الحب	« « «	١٠٠
٨ الضعف التناسلي	« « «	١٠٠
٩ السلوك الجنسي عند الرجل	« « «	١٠٠
١٠ السلوك الجنسي عند المرأة	« « «	١٠٠
١١ طريق الحب	« « «	١٠٠
١٢ اطفالنا والثقافة الجنسية	« الدكتور فخري الدباغ	١٠٠

الناشر : دار بيروت